كلمة الدكتور محمد طيب تيزيني
في حفل استقباله يتحدث فيها
عن سلفه الأستاذ جورج صدقني

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني

أيها الزملاء المحترمون:

إن ما يلفت نظري في هذا اللقاء أنه يجسد تقليدًا إيجابيًّا في حياة المجمع الكريم، وهو ذلك الذي يتمثل في تناول الزملاء الجدد الحديث عن زملائهم السابقين الراحلين، على نحوٍ يسهم في التذكير بما أنجزوه ضمن المجمع وقدموه، محققين بذلك الفكرة الشهيرة الحصيفة والقائمة على أن المجامع العلمية إنما هي «مجامع الخالدين». فهم حقًّا خالدون في حياة أممهم، على الأقل من موقع كونهم يجدون مهماتهم ماثلة في اثنتين هما: العمل على المحافظة على المنجزات الفذة لهذه الأمة أولًا، وعلى تطويرها وفق قانون التقدم التاريخي المفتوح ثانيًا. وهذا نمط من الإنجاز الكبير على طريق بلورة وصوغ الذاكرة للأجيال القادمة المتعاقبة. فلقد ابتُدعت فكرة «المجمع العلمي» في حياة الأمم والشعوب والأجيال وفق الأبعاد الثلاثة التالية، الأفقي والعمودي والعمقي الداخلي، وتحولت إلى رائز حاسم لصوغ الوعي الوطني والقومي والإنساني.

ويصبح الأمر أكثر شمولًا، حين ننظر إلى « المجمع العلمي» بعين الباحث العالم لما يعيشه من مشكلات مرحلته وربما عصره، وما يكتشفه من عوائق موضوعية وذاتية تواجه عمله وحياته.

فالحديث عن تراث الراحل جورج صدقني يعني - في أحد احتمالاته - اكتشاف مادته من خلال ما ترجمه من أعمال فلسفية خصوصًا، وذلك بتفكيكها واستنباط الدلالات والمعاني المغروزة فيها، يدًا بيد مع ضبط المرحلة التاريخية التي أُنجز ذلك على امتدادها. أما المرحلة التي عاش فيها فقد تمثلت في الثلاثينيات من القرن العشرين فصاعدًا. فلقد ترجم كتاب «مدخل إلى علم الفلسفة» للفيلسوف (كارل ياسبرز). وكان الرأي العام الدولي منشغلًا في حينه بقضية الدفاع عن السلم ضد خطر كبير تمثل في الخطر النووي.

وبالتوافق مع تلك القضية الكبرى وجد صدقني نفسه أمام استحقاق الحرية، التي تضبط التعامل مع ذلك الخطر النووي وقضايا راهنة أخرى. وبالتوافق مع هذه القضية الحساسة جدًّا وجد نفسه أمام استحقاق الحرية، التي يتعين أن يُمارس دورها محليًّا وعالميًّا. فركَّز على الحرية الإنسانية، دون أن يكون البعد المجتمعي والتاريخي لهذه الحرية ماثلًا بعمق في مشروع العمل. لقد كان «الوجود الإنساني» المجسد بالإنسان الفرد المَعْنيّ، هو ما ينبغي الدفاع عنه في حريته، التي تضبط التعامل مع ذلك الخطر النووي، وذلك في مرحلة كان فيها السلم العالمي أمام استحقاقات خطيرة.

ويلاحظ أن الراحل صدقني كان قد تأثر مباشرة بالراحل الآخر الدكتور بديع الكسم فقد كان تلميذه في جامعة دمشق. وتابع السير كذلك لاحقًا، حيث اهتم بكتاباته الفلسفية، ومنها ما نشره الدكتور الكسم في فصل من كتاباته، بعنوان: «البرهان والفلسفة». هاهنا كتب عن الثلاثية التالية «الحقيقة

الفلسفية» و«القيمة» إضافة إلى «الحرية». فالأولى، أي الحقيقة الفلسفية ترتبط بـ«القيمة» على نحو لا ينفصل، بقدر ما تكون القيمة هذه راسخة العلاقة بالحرية. ويلاحظ أن هذه الثلاثية أثَّرت بقدر لافت في شخصية جورج صدقني. وكان ذلك يُفصح عن نفسه في مناقشاته وحواراته، مما يشي بتكوينه الفكري، في جزء ملحوظ منه بتأثره بالدكتور بديع الكسم.

وسوف نتبين ذلك، بالاعتبارين الفكري والسياسي، في مرحلة الوحدة بين سورية ومصر؛ وهذا ما جعل توجهه القومي العربي يشير إلى أن ذلك يمثل اتجاهًا حاكمًا في بِنيته، وفيما يمكن أن يؤسس عليه من خطط ومشاريع اقتصادية وسياسية وثقافية.

من هنا، شكَّل فسخُ الوحدة بين القطرين المذكورين عاملًا صادمًا في شخصية صدقني، وقد ظهر ذلك بيّنًا صريح الدلالة، حين نيطت به وزارة الإعلام. فهاهنا ظهرت طاقاته ومهاراته، التي ظهرت كذلك حين صار رئيسًا لاتحاد الكتَّاب العرب. وينبغي القول هاهنا: إن فكَّ الوحدة القومية بين سورية ومصر ترك آثارًا بالغة الأسى العميق. فلقد هزّه وأدخله في حالة من الكآبة. وقد ظهر الأسى في حياته، خصوصًا حين تلقف ما كان قرأه عند الدكتور بديع الكسم في أحد أعماله في فصل عن «البرهان والفلسفة».

فهاهنا يتحدث الأستاذ الكسم عن مصطلحين يبرزان في الحياة السياسية خصوصًا، وهما «المساومة الحقيقية» و«المساومة في الحياة العامة». وقد برز هذا الموقف المأساوي في سياق «تفكيك الوحدة الثنائية بين مصر وسورية». وقد ظهر ذلك في تعليق الراحل صدقني على ذلك معلنًا (**أن ما كان يجب أن يكون حاكمًا في إطار الوحدة المذكورة «التسامح الحق» بدلًا من «المساومة»**).

كان الراحل الأستاذ صدقني جادًّا في علاقته باللغة العربية، فكان يرى،

كما يكتب الراحل الدكتور شاكر الفحام أن « اللغة العربية المبينة أداة الإفصاح والبيان في جميع ميادين المعرفة والحياة، تجاري اللغات العالمية، فتغنيها وتغتني بها». وقد تعززت هذه الفكرة عند جورج صدقني بمزيد من القناعة، نظرًا لامتلاكه اللغة الفرنسية، التي أوجدت فرصة للمقارنة بينها وبين اللغة العربية. وكان هذا دعمًا للقول بأن دعوة « اللهجة العامية» كلغة، تقوم بما تقوم به الفصحى العربية؛ وكذا الأمر فيما يتصل بالدعوات الأخرى من مثل الدعوة إلى اللاتينية – دعوات مغرضة. لقد دلّلت اللغة العربية على قدرتها العميقة في تغطية التطورات العالمية الصناعية والسياسية والثقافية وغيرها. ها هنا يبرز دور هذا المجْمع وغيره في فتح الطرق السالكة أمام اللغة العربية إبداعًا وتطويرًا.

هاهنا كذلك نتبين موقف الراحل صدقني المَشْغوفِ بلغتنا، والذي أسهم في كثير من المناسبات بإغنائها والدفاع عنها، وذلك بالحفاظ عليها وتطويرها يدًا بيد مع تطور العلوم والثقافة والاقتصاد وغيره، وتحويل هذا كله إلى ساحة التغيير في حقل عربي مفعم بالعقبات.

وهذا ما يدعوني للتأكيد أن الحفاظ إنما هو حالة مركّبة تستدعي جهودًا هائلة على الأقل بقدر ما العقبات التي تقف في وجه ذلك هائلة.

أيها السادة الزملاء المحترمون: إن سورية والوطن العربي يحتاجان لمجمعكم الكريم وللمجامع العربية كلها. فعسى أن يكون هذا العمل المشترك طريقًا إلى أعمال مشتركة أخرى تجعل من البلدان العربية المشرذمة أقرب إلى التوافق والعمل المشترك. ولعلي أختم بكون الوطن العربي يحتاج إلى ذلك العمل، نظرًا إلى أنه يقف، ثانية، أمام الخيار التاريخي الصعب بين الآن وبين ما يجب أن يكون.

أشكركم جزيل الشكر لإنصاتكم، ودمتم بخير عميم.